Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) العدد 39 مارس2026
ردمد: 3014-6266

فقه الدعوة في تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: دراسة تحليلية تطبيقية

د/ نـوري عمــر حسيـن كريم
n.kareem@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0006-2504-8838
د/ عبدالعاطي أبوالعيد الخذراوي
a.abraheem@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0004-8073-7391
كلية التربية أبوعيسى – جامعة الزاوية

The Jurisprudence of Da'wah in the Exegesis of Sheikh Abd al-Rahman ibn Nasir al-Sa'di: An Analytical and Applied Study

Dr. Nouri Omar Hussein Karim
Dr. Abd al-Ati Abu al-Eid al-Khadrawi
Faculty of Education, Abu Issa - University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2026/2/16 -تاريخ المراجعة:2026/2/18- تاريخ القبول: 2026/2/28- تاريخ للنشر: 2026 /3/17

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضـوع فقه الدعوة في تفسـير الشـيخ عبد الرحمن بن ناصـر السـعدي: دراسـة تحليلية تطبيقية، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية ذات الصلة بالدعوة إلى الله تعالى، وتحليل ما تضمنه تفسير الشيخ السعدي من أصول وقواعد وتوجيهات دعوية.

وتنبع أهمية البحث من مكانة تفسـير السـعدي بين التفاسـير المعاصـرة، وما يتميز به من عناية بالهدايات القرآنية، وربط النصـوص الشـرعية بمقاصـدها التربوية والإصـلاحية، مما يجعله مصـدرًا غنيًا لاسـتخراج المنهج الدعوي المستنبط من القرآن الكريم.

ويهدف البحث إلى بيان مفهوم فقه الدعوة، والتعريف بمنهج الشيخ السعدي في تفسيره، والكشف عن أبرز القواعد الدعوية التي قررها أو أشـار إليها من خلال تفسـيره للآيات، مع بيان ما يتعلق بالداعية والمدعو ووسـائل الدعوة ومعوقاتها، ثم دراسة التطبيقات المعاصرة التي يمكن الإفادة منها في ضوء تلك القواعد.

وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع النصوص المتعلقة بموضوع الدعوة من تفسير السعدي، والمنهج التحليلي في دراسة أقواله واستخراج دلالاتها الدعوية، والمنهج الاستنباطي في بناء القواعد الدعوية، والمنهج التطبيقي في تنزيل تلك القواعد على بعض القضايا الدعوية المعاصرة.

وتوصـل البحث إلى عدد من النتائج، من أبرزها أن تفسـير السـعدي يتضـمن منهجًا دعويًا متكاملاً يقوم على أصـول قرآنية راسـخة، وأن نجاح الدعوة مرتبط بتحقيق الإخلاص والبصـيرة والحكمة والرحمة ومراعاة أحوال المدعوين، وأن مواجهة معوقات الدعوة لا تكون إلا بالعلم والبيان والصـبر وحسـن الأسـلوب، كما أكد البحث أهمية الإفادة من هذا المنهج في تطوير الخطاب الدعوي المعاصر.

Abstract

This research examines “The Jurisprudence of Da‘wah in the Tafsir of Shaykh Abd al-Rahman ibn Nasir al-Sa‘di: An Analytical and Applied Study.” It investigates the Qur’anic foundations of Islamic preaching and extracts the principles, guidelines, and methodological aspects of Da‘wah presented in al-Sa‘di’s renowned tafsir Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan.

The significance of this study lies in the distinctive characteristics of al-Sa‘di’s tafsir, particularly his emphasis on Qur’anic guidance, educational dimensions, and practical reform-oriented interpretations. His work represents a valuable source for understanding the principles of effective Da‘wah derived from the Qur’an.

The study aims to define the concept of the jurisprudence of Da‘wah, introduce al-Sa‘di’s interpretive methodology, identify the main Da‘wah principles found in his tafsir, and analyze their relevance to contemporary Islamic preaching. It also examines the characteristics of the preacher, the considerations related to the audience, the methods of Da‘wah, its obstacles, and possible solutions according to al-Sa‘di’s approach.

The research employs an inductive method by collecting relevant Qur’anic passages and interpretations from al-Sa‘di’s tafsir, an analytical method to examine his explanations, a deductive method to formulate Da‘wah principles, and an applied approach to connect these principles with contemporary issues.

The study concludes that al-Sa‘di’s tafsir contains an integrated Da‘wah methodology based on Qur’anic principles, emphasizing sincerity, knowledge, wisdom, compassion, patience, and consideration of the circumstances of those being addressed. It also demonstrates that the contemporary Da‘wah discourse can benefit greatly from these principles in addressing modern challenges.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تُعد الدعوة إلى الله من أجلِّ وظائف الأنبياء والمرسلين، وأعظم الواجبات الشرعية التي بها تحفظ العقيدة، وتقام الحجة، ويُصلح المجتمع، وقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة ببيان أصول الدعوة ومناهجها ووسائلها وأخلاق الدعاة، فجاءت آياته زاخرة بالتوجيهات التي ترسم للداعية منهجًا ربانيًا متكاملاً.

ويُعد تفسير الشيخ السعدي من أبرز التفاسير المعاصرة التي امتازت بوضوح العبارة، وسلامة المنهج، وربط المعاني القرآنية بواقع الحياة، مع إبراز الهدايات الإيمانية والتربوية والدعوية المستنبطة من الآيات. وقد عني السعدي بإظهار المقاصد الدعوية في تفسيره، وبيان الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله، كالرفق والحكمة والموعظة الحسنة والصبر والإخلاص ومراعاة أحوال المدعوين، مما يجعل تفسيره مصدرًا ثريًا لاستخراج فقه الدعوة وتأصيل قواعده.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت تفسير السعدي من جوانب عقدية أو تربوية أو تفسيرية، فإن الدراسات التي تجمع المسائل الدعوية المتفرقة في تفسيره، وتؤصلها تأصيلاً علميًا في إطار فقه الدعوة، لا تزال بحاجة إلى مزيد من العناية والبحث، الأمر الذي يبرز أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى استقراء المواضع الدعوية في تفسير السعدي، وتحليلها، واستخراج القواعد والأصول التي يقوم عليها منهجه في الدعوة إلى الله، بما يسهم في الإفادة منها في الدراسات الدعوية المعاصرة.

أهمية البحث

1. إبراز عناية القرآن الكريم بتأصيل منهج الدعوة إلى الله .
2. بيان الجوانب الدعوية في تفسير السعدي وجمعها في دراسة مستقلة .
3. إبراز منهج السعدي في استنباط القواعد الدعوية من الآيات القرآنية .
4. إثراء المكتبة العلمية بدراسة تجمع بين التفسير وعلوم الدعوة .
5. الإفادة من القواعد الدعوية المستنبطة في إعداد الدعاة والمصلحين.
6. ربط الدراسات الدعوية بالمصادر التفسيرية الأصيلة .

أهداف البحث

1. التعريف بمفهوم فقه الدعوة وأهميته .
2. استقراء المسائل والقواعد الدعوية الواردة في تفسير السعدي .
3. تحليل منهج السعدي في استنباط الأحكام والقواعد الدعوية .
4. إبراز أبرز الأصول والضوابط التي اعتمدها السعدي في الدعوة إلى الله .
5. بيان التطبيقات الدعوية المستفادة من تفسير السعدي وإمكان الإفادة منها في الواقع المعاصر .

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة، وهي:

- المنهج الاستقرائي :وذلك باستقراء الآيات ذات الصلة بالدعوة وما أورده السعدي في تفسيرها .

- المنهج التحليلي :بتحليل النصوص التفسيرية واستخراج ما تتضمنه من قواعد وأصول دعوية .
- المنهج الاستنباطي :لاستنباط فقه الدعوة والقواعد الكلية من خلال كلام السعدي .
- المنهج الوصفي :عند عرض منهج السعدي وخصائصه الدعوية .

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما معالم فقه الدعوة في تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وما أبرز القواعد والأصول الدعوية التي يمكن استنباطها من تفسيره؟ ويتفرع عنه:-

1. ما مفهوم فقه الدعوة، وما أهميتها؟
2. ما حكم الدعوة إلى الله عزوجل؟
3. ما أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة والمصلحين؟

حدود البحث

يقتصر البحث على دراسة المسائل والقواعد المتعلقة بفقه الدعوة في تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من خلال كتابه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مع الاقتصار على المواضع التي تتضمن أصولًا أو قواعد أو توجيهات دعوية.

خطة البحث:-

المقدمة

- أهمية الموضوع .
- أسباب اختياره .
- الدراسات السابقة .
- مشكلة البحث .
- منهج البحث .
- أهداف البحث .
- حدود البحث.
- خطة البحث .

التمهيد :التعريف بفقه الدعوة وتفسير السعدي.

- أولا: مفهوم فقه الدعوة وأهميته .
- ثانيا: التعريف بالشيخ عبدالرحمن السعدي .
- ثالثا: التعريف بتفسيره ومنهجه.

المطلب الأول: الأصول الدعوية في تفسير السعدي

أولا: أهمية الدعوة إلى الله وفضلها.

ثانيا: حكم الدعوة إلى الله عزوجل.

ثالثا: الأمر الذي ينبغي على الدعاة بيانه.

رابعا كيفية الدعوة وبيان أساليبها.

المطلب الثاني: الصفات التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسيروا عليها:-

أولا: الإخلاص لله تعالى.

ثانيا: أن يكون الداعية على بينة في دعوته.

ثالثا: أن يكون الداعية حليما في دعوته.

رابعا: أن يتبع الداعية العمل بعد القول.

خامسا: إيثار طاعة الله ورسوله ﷺ على مودته.

سادسا: أن يتحلى الداعية بالصبر في دعوته.

المطلب الثالث: التطبيقات الدعوية المستنبطة من تفسيره

- المبحث الأول: القواعد الدعوية المستفادة .
- المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة لفقه الدعوة في ضوء تفسير السعدي .
- المبحث الثالث: التقويم والترجيحات .

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهيد: التعريف بفقه الدعوة وتفسير السعدي

أولا: فقه الدعوة

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له، والفطنة، وغلب على علم الدين لسيادته، وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم[1]، والفقه في الأصـــل: الفهم، يقال: أُوتي فلان فقها في الدين: أي فهما فيه. قال الله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 122] وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُـــعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: 91] ويقال: فَقِهَ الرجل يفقَهُ فِقْها: إذا عَلِمَ وفَهِمَ، وفَقُهَ: إذا صَارَ فَقِيها عالما[2] والجمع فقهاء، وفَقَهَهُ، كعلمه، فَهِمَهُ، وفقَّهَه تَفقيها: علمه[3] .

وفي الاصـطلاح: له عدة تعريفات يفسر بعضـها بعضـا، منها: العلم الحاصـل بجملة من الأحكام الشـرعية الفرعية، بالنظر والاستدلال[4] .

والدعوة لغة: الطلب، يقال: دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حث على قصده، ودعوت زيدا: ناديته وطلبتُ إقباله، ودعا فلانا: صـاح به وناداه، ودعاه إلى الأمير: سـاقه إليه، ويقال: دعاه إلى الصـلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وسـاقه إليه، وتداعى القوم: دعا بعضـهم بعضـا حتى يجتمعوا[5]،والدعوة اصطلاحا: ورد لها عدة تعريفات يكمل بعضها بعضا، منها:

1 - الدعوة إلى الله عز وجل هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسـله، بتصـديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسـله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشـره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه[6].

2 - العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى: من عقيدة، وشريعة، وأخلاق.[7]

أما فقه الدعوة : فهو اسـتنباط، وفهم تاريخ الدعوة، وأسـبابها، وأركانها، وأسـاليبها، ووسـائلها، وأهدافها، ونتائجها: استنباطا وفهما على ضوء الكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح، يُمَكِّن الدعاة إلى الله تعالى من عرضـها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم، ولغاتهم، ومتعدد أجناسهم[8] عملا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِـيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُـبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْـرِكِينَ﴾ [يوسف: 108] .

ثانيا: التعريف بالشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

اسمه ونسبه ومولده

هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي، من بني تميم، ويُعد من أبرز علماء المملكة العربية السـعودية في القرن الرابع عشـر الهجري، ومن أشـهر المفسـرين المعاصـرين. وُلِد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم سنة 1307هـ/1889م، ونشأ فيها، وتوفي والداه في صغره، فكفله بعض أقاربه، وظهرت عليه علامات النبوغ وحب العلم منذ نعومة أظفاره.

نشأته العلمية

بدأ الشيخ السـعدي بحفظ القرآن الكريم صـغيرًا، فأتم حفظه وهو في الثانية عشـرة من عمره تقريبًا، ثم اتجه إلى طلب العلوم الشـرعية، فدرس التفسـير، والحديث، والفقه، وأصـوله، واللغة العربية، وغيرها من العلوم على عدد من علماء عنيزة، حتى أصـبح من كبار علمائها، وتولى التدريس والإفتاء والإمامة، وأقبل عليه طلاب العلم من داخل المملكة وخارجها.

شيوخه

تلقى الشيخ السعدي العلم على عدد من علماء عصره، ومن أشهرهم:

1. الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر.

---

[1] - لسان العرب ابن منظور، 13 / 522، مادة " فقه "،

[2] - النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، 3 / 465.

[3] - القاموس المحيط للفيروزآبادي ص 1614،

[4] - الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين علي بن محمد الآمدي، 1 / 6 تعليق العلامة عبد الرزاق عفيفي.

[5] - مختار الصحاح للرازي ص 86 مادة " دعا "

[6] - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 15 / 157،

[7] - الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، للدكتور أحمد غلوش، ص 10.

[8] - فقه الدعوة إلى الله، للدكتور علي عبد الحليم محمود، 1 / 18

2. الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل.
3. الشيخ صالح بن عثمان القاضي.
4. الشيخ علي بن محمد السناني.
5. الشيخ عبد الله بن عائض.

وقد كان لهؤلاء أثر في تكوينه العلمي، مع اعتماده الكبير على المطالعة الواسعة والبحث المستمر في كتب التفسير والحديث والفقه.

أبرز تلاميذه

تخرج على يديه عدد من كبار العلماء، من أشهرهم:

1. الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
2. الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل.
3. الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان.
4. الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، وغيرهم.

وقد أسهم هؤلاء في نشر علمه ومنهجه، ولا سيما في مجال التفسير والفقه والدعوة.

مؤلفاته

خلف الشيخ السعدي عددًا من المؤلفات النافعة، من أبرزها:

1. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وهو أشهر مؤلفاته وأوسعها انتشارًا.
2. القواعد الحسان لتفسير القرآن.
3. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة.
4. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار.
5. القول السديد في مقاصد التوحيد.
6. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.
7. منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، إلى جانب عدد من الرسائل العلمية في العقيدة والفقه والتفسير.

مكانته العلمية

أخذ الشيخ السعدي مكانة علمية بارزة بين علماء عصره؛ لما اتصف به من رسوخ في العلم، وحسن الاستنباط، وسلامة المنهج، والقدرة على الجمع بين التأصيل الشرعي والتوجيه التربوي والدعوي. وقد امتاز تفسيره بالعناية بإبراز الهدايات القرآنية، وربطها بواقع المسلمين، واستنباط القواعد العامة التي تعين على فهم النصوص وتنزيلها على الوقائع، الأمر الذي جعل تفسيره من أكثر التفاسير المعاصرة قبولًا وانتشارًا، ومصدرًا مهمًا للدراسات التفسيرية والدعوية.

وفاته

استمر الشيخ السعدي في التدريس والتأليف والإفتاء حتى توفي بمدينة عنيزة يوم الخميس 23جمادى الآخرة سنة 1376هـ الموافق 24يناير 1957م، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والدعوة والإصلاح، وترك تراثًا علميًا ما يزال محل عناية الباحثين وطلاب العلم.

ثالثا: التعريف بتفسيره- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- ومنهجه

اسم التفسير ونسبته إلى مؤلفه:

يُعد كتاب - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي من أشهر التفاسير المعاصرة، وقد عُرف اختصارًا بـــ -تفسير السعدي - نسبة إلى مؤلفه، وقد ألفه الشيخ بقصد تقريب معاني القرآن الكريم وتسهيل فهمه على عامة المسلمين وطلاب العلم، مع المحافظة على أصول التفسير وقواعده العلمية.

وقد صرح الشيخ السعدي في مقدمة تفسيره بمقصده من التأليف بقوله: "أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيرا.[9]

منهجه في تفسيره

[9] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 30)

اتسم منهج الشيخ السعدي في تفسيره بعدد من الخصائص العلمية، من أبرزها:
1-العناية بتفسير القرآن بالقرآن والسنة الصحيحة؛ حيث يربط الآيات بعضها ببعض، ويستفيد من الأحاديث والآثار فيما يوضح المعنى ويؤيده.
2-الاهتمام بالمعاني والهدايات القرآنية؛ فلم يقتصر على بيان المعنى اللغوي أو الخلاف التفسيري، بل اعتنى بما تتضمنه الآيات من توجيهات إيمانية وتربوية وإصلاحية.
3-الوضوح والسهولة في العبارة؛ فقد قصد تقريب معاني القرآن للقراء، فابتعد عن الإطالة في المسائل الخلافية، وركز على المعنى الراجح الذي تدل عليه الآية.
4-الجمع بين التأصيل والتربية؛ إذ يظهر في تفسيره الربط بين العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك، مما جعل تفسيره ذا بعد دعوي واضح.
5-العناية بمقاصد الشريعة وإصلاح المجتمع؛ حيث يستخرج من الآيات القواعد العامة التي تهدي الفرد والمجتمع إلى الصلاح[10].

مكانة التفسير وخصائصه الدعوية

يمتاز تفسير السعدي ببروز الجانب الدعوي فيه؛ إذ ينظر إلى القرآن بوصفه كتاب هداية وإصلاح، ولذلك يكثر في تفسيره بيان آثار الإيمان والعمل الصالح، وطرق تزكية النفوس، وأسباب صلاح المجتمعات.

ومن أبرز مظاهر البعد الدعوي في تفسيره:

1. ربط الأحكام والمعاني القرآنية بمقاصدها الإيمانية والتربوية.
2. بيان منهج الأنبياء في دعوة أقوامهم.
3. إبراز صفات الدعاة ووسائل الدعوة الناجحة.
4. توجيه المسلم إلى العمل بالقرآن لا الاكتفاء بفهم معانيه.
5. استنباط القواعد التي تعين على إصلاح الفرد والمجتمع.

ولهذا يُعد تفسير السعدي مصدرًا مهمًا للدراسة الدعوية؛ لأنه لا يكتفي بتفسير الآيات، بل يكشف عن هداياتها العملية وآثارها في بناء الإنسان المسلم والمجتمع الصالح.

أثر تفسير السعدي في الدراسات الدعوية

إن القيمة الدعوية لتفسير السعدي تظهر في كونه يقدم نموذجًا للتفسير الذي يجمع بين بيان المعنى وإبراز الهداية، وهو منهج يجعل القرآن حاضرًا في واقع الناس، ويُعين الدعاة على فهم الأساليب القرآنية في الدعوة والإصلاح.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة فقه الدعوة في هذا التفسير؛ إذ تكشف عن الأصول والقواعد الدعوية التي تضمنها، وتبرز كيفية انتقال المفسر من شرح الآية إلى استنباط التوجيهات العملية المرتبطة بالدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الأول: الأصول الدعوية في تفسيره

أولا: أهمية الدعوة إلى الله وفضلها

الدعوة إلى الله تعالى من أهم الطاعات وأجل القربات التي أمر بها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، ومما يبين شرفها ومنزلتها، أن الدعوة إلى الله تعالى تولاها الله سبحانه بنفسه فهو الذي يدعو عباده إلى طاعته وتقواه التي هي طريق الجنة، وينهاهم عن معصيته ومخالفة أمره التي هي طريق النار والعذاب، كما قال سبحانه وتعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يونس: 25] وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين الذي هم خيار الخلق وأشرف العباد، فإن الله تعالى اصطفى من عباده خيارهم ليكلفهم بالدعوة إليه سبحانه وتبليغ دينه كما قال عز وجل: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 165] وقال جل وعلا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي} [الأنبياء:25] ،فهي وظيفة هؤلاء الأخيار الأطهار المصطفين من عباد الله، ويأتي في مقدمتهم فضلا ومكانة نبينا محمد ﷺ الذي قال عنه ربه تبارك وتعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: 45-46] ، فأي وظيفة أكرم وأشرف من وظيفة يتولاها خيار الناس ويقومون بها[11]، وأن الله تعالى جعل أحسن الأقوال وأشرفها الدعوة إليه سبحانه كما قال جل وعلا: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت:33]

[10] - للمزيد ينظر: منهج الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره – دراسة تحليلة موضوعية ،صلاح الدين أحمد عبدالله، جامعة أم درمان الإسلامية 2007م

[11] - الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده (ص: 23)

والدعوة إلى الله من أسباب تفضيل هذه الأمة على غيرها وتميزها بين سائر الأمم وخيريتها عليهم كونها تدعو إلى الله تعالى بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال سبحانه وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110] قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ، قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان بن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس[12].

ولقد كان الرسول ﷺ يبعث الدعاة إلى الناس؛ ليعلموهم وليفقهوهم، وليرشدوهم إلى الحق، وإلى صراط مستقيم، بل إن الصحابة رضوان الله عليهم، فهموا أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة، فكانوا يبادرون بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم تعليمهم وتفقيههم؛ ليقوموا بدعوة أقوامهم من خلفهم، بل كان من يسلم حديثا يدرك أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وأن تبليغها واجب، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، في حديث وفد عبد القيس وفيه: قالوا: يا رسول الله، فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا.[13]

ولقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الدعوة إلى الله تعالى، ويُلهب حماستهم لذلك، ويبيّن ما لهم من الأجور ورفعة الدرجات عند الله إن هم قاموا بذلك، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم))[14] وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : ((من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله))[15] ،وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا))[16].

وقد صدقوا رضي الله تعالى عنهم رَبَّهُمْ تعالى بأقوالهم وأفعالهم، وقاموا بالدعوة إليه تعالى أتم قيام، وأدوها أحسن أداء، وقد تسلحوا رضي الله عنهم في دعوتهم بتمام الإخلاص، وصدق التوكل، والفقه عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ ، واتخذوا الصبر مطية، والأجر الموعود أعظم ثمن وهدية، فاعتلت شجرة دعوتهم تزاحم النجوم في عليائها، وآتت أكلها طيبة الثمار، وما زال المسلمون يتفيؤون ظلال دعوتهم المباركة، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فرضي الله عنهم وأرضاهم[17].

فحاجة الناس وضرورتهم إلى الدعوة إلى الله تعالى والهداية أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، بل لا يستقيم أمر العالم إلا بالدعوة إلى الله تعالى، ولولا ذلك لأصبحت الأرض رجراجة ولعاش الناس فوضى كالبهائم؛ فجنس الإنسان لا يستغني عن الأمر والنهي؛ لأنه لا يمكن أن يستقل بمعرفة الحق والخير على الكمال والتمام، وإن كان يدرك الشر والخير بالجملة، وذلك بما وهبه الله من عقل وحواس، إلا أنه لا يعرف حقائق الأشياء على التفصيل إلا بالوحي من الله تعالى، ولذلك احتاج الخلق إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقيام الحجة، والفلاح متحقق بإذن الله تعالى لمن قام بأعبائها، وتحمل مشاقها، قال الله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104]،وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله {أمة} أي: جماعة {يدعون إلى الخير} وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه {ويأمرون بالمعروف} وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه {وينهون عن المنكر} وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة[18] فنجده يقرر أن الدعوة إلى

---

[12] - تفسير القرآن العظيم، 420/1، وأثر أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري، في الصحيح في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} ، رقم: 4557.

[13] - رواه البخاري (1 / 129، 183) ، ومسلم (1 / 179) مع النووي، واللفظ لمسلم

[14] - رواه البخاري (7 / 476) ، ومسلم (15 / 77) ، في قصة بعث علي بن أبي طالب إلى خيبر

[15] - رواه مسلم (13 / 38)

[16] - رواه مسلم (16 227)

[17] - البصيرة في الدعوة إلى الله (ص: 11)

[18] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 142)

الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يمكن حصـــولها وتحصـــيلها إلا بعد معرفة الخير ليدعو له، ومعرفة المعروف ليأمر به، ومعرفة المنكر لينهى عنه، والبصـيرة هي: العلم الشـرعي المؤصـل المبني على الدليل من الوحي المنزل من عند الله تعالى، وعلى لسـان رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، والفهم لمراد الله تعالى فيما أنزله، أي: على علم ويقين وبرهان شـــرعي وعقلي فيما يدعو إلى فعله، وفيما يدعو إلى تركه، وفي أســلوب الدعوة، وفي حال المدعوين، وسـلوك الطريق الصـحيح في ذلك ،ولذلك سـمى الله تعالى العلم بصـيرة؛ لأنه يحصـل به الصـواب، ويتبين به الحق، وتقوم به الحجة، ويردع به الباطل، ويمكن لصـاحب البصـيرة أن يُوصـل الحق إلى من يسـتحقه[19].،وأن الدعوة إلى الله وإلى دينه تكون بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا والرغبة والســـعي في كل ما ينفع[20].

وفي بيانه لأهمية الدعوة إلى الله تعالى يذكرنا بأنها ســـبيل الأنبياء من قبل"وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، ســـلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والســـهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي[21].

ومن فوائد الدعوة ذكر تفاصيل ما يدعو إليه بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفســـه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بِإِذْنِ الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره[22].

ونخلص أننا في هذا الوقت نحتاج لهذه البصيرة في الدعوة للإسلام ، خاصة في ظل تداعيات عالمية وحرب تشن على الإسلام بلا هوادة من أعدائه وكثير من أدعيائه، وممن ينتسبون للإسلام ببعض تصرفاتهم التي تنفر وتبغض بسلوكياتهم سماحة ووسطية الإسلام .

فرســـالة العالم الإســـلامي هي الدعوة إلى الله ورســـوله والإيمان باليوم الآخر. وجائزته هي الخروج من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد ظهر فضل هذه الرسالة. وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل عصر، فقد افتضحت الجاهلية، وبدت سـوأتها للناس، واشـتد تذمر الناس منها، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإســلام، لو نهض العالم الإسلامي، واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماس وعزيمة، ودان بها[23]

ثانيا: حكم الدعوة إلى الله عز وجل

فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها: قوله ســـبحانه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104] ، ومنها: قوله جل وعلا: {ادْعُ إِلَى سَـــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَـــنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل: 125] ، ومنها: قوله عز وجل: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [القصص: 87] ،فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصـائر، والواجب - كما هو معلوم - هو اتباعه، والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام، وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنســـبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشـاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سـقط عن الباقين ذلك الواجب، وصـارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملا صـالحا جليلا.،وإذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صـار الإثم عاما، وصـــار الواجب على الجميع، وعلى كل مســـلم أن يقوم بالدعوة حســـب طاقته ، فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة للدعوة والإرشاد وإصلاح المجتمع.[24]

---

[19] - البصيرة في الدعوة إلى الله (ص: 13)
[20] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 449)
[21] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 495)
[22] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 667)
[23] - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص: 13)
[24] - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص: 15)

فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء الرسول ﷺ أن يقوموا بهذا الواجب، وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالات الله إلى عباد الله، ولا يخشوا في الله لومة لائم، ولا يحابوا في ذلك كبيرا ولا صغيرا ولا غنيا ولا فقيرا، بل يبلغون أمر الله إلى عباد الله، كما أنزل الله، وكما شرع الله، وقد يكون ذلك فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يؤدي ذلك سواك، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثا: الأمر الذي ينبغي على الدعاة بيانه

أما الأمر الذي يُدعى إليه، ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس، كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم، وهو الإسلام، وهو دين الله الحق، هذا هو محل الدعوة، كما قال سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} ،فسبيل الله جل وعلا: هو الإسلام، وهو الصراط المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام، هذا هو الذي تجب الدعوة إليه، لا إلى مذهب فلان ولا إلى رأي فلان، ولكن إلى دين الله، إلى صراط الله المستقيم، الذي بعث الله به نبيه وخليله محمدا عليه الصلاة والسلام، وهو ما دل عليه القرآن العظيم، والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، إلى الإخلاص لله وتوحيده بالعبادة، والإيمان به وبرسله، والإيمان باليوم الآخر، وبكل ما أخبر الله به ورسوله، هذا هو أساس الصراط المستقيم، وهو الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومعنى ذلك: الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرسله عليهم الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك الدعوة إلى الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسله، مما كان وما يكون من أمر الآخرة، وأمر آخر الزمان وغير ذلك؛ لأن دين الله عز وجل دين شامل، يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهى عن سفاسف الأخلاق وعن سيئ الأعمال، فهو عبادة وقيادة، يكون عابدا، ويكون قائدا للجيش. عبادة وحكم، يكون عابدا مصليا صائما، ويكون حاكما بشرع الله منفذا لأحكامه عز وجل. عبادة وجهاد، يدعو إلى الله، ويجاهد في سبيل الله من خرج عن دين الله. مصحف وسيف، يتأمل القرآن ويتدبره وينفذ أحكامه بالقوة، ولو بالسيف إذا دعت الحاجة إليه. سياسة واجتماع، فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأخوة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم، كما قال جل وعلا: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} فدين الله يدعو إلى الاجتماع، وإلى السياسة الصالحة الحكيمة، التي تجمع ولا تفرق، تؤلف ولا تباعد، تدعو إلى صفاء القلوب، واحترام الإخوة الإسلامية، والتعاون على البر والتقوى، والنصح لله ولعباده، وهو أيضا يدعو إلى أداء الأمانة والحكم بالشريعة، وترك الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، كما قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} قال السعدي: " الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله. وقد ذكر الفقهاء على أن من اؤتمن أمانة وجب عليه حفظها في حرز مثلها. قالوا: لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك[25]".فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}وكذلك العهد، يشمل العهد الذي بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها.

ونخلص أن على الدعاة والناصحين أن يقوموا بواجب دعوة الناس بكل أمانة كما استلمومها من خاتم الأنبياء والمرسلين صافية بلا غلو ولاتطرف وسطية شمولية.

رابعا: كيفية الدعوة وبيان أساليبها

أما كيفية الدعوة وأسلوبها: فقد بينها الله عز وجل في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ،فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولا بالحكمة، والمراد بها: الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والداحضة للباطل؛ ولهذا قال بعض المفسرين: المعنى: بالقرآن؛ لأنه الحكمة العظيمة؛ لأن فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وقال بعضهم: معناه: بالأدلة من الكتاب والسنة، وقال السعدي: أن لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة {مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وبيان فوائد الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

[25] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 183)

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.، ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر[26].

ويدخل أيضا في ذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بما شرع الله في الحرب والسلم ؛ بالحكمة والموعظة الحسنة، فالحكمة كلمة عظيمة، معناها: الدعوة إلى الله بالعلم والبصيرة، والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق، والمبينة له، وهي كلمة مشتركة تطلق على معان كثيرة، تطلق على النبوة، وعلى العلم والفقه في الدين، وعلى العقل، وعلى الورع، وعلى أشياء أخرى، وهي في الأصل كما قال الشوكاني رحمه الله: الأمر الذي يمنع عن السفه، هذه هي الحكمة، والمعنى: أن كل كلمة وكل مقالة تردعك عن السفه، وتزجرك عن الباطل فهي حكمة، وهكذا كل مقال واضح صريح، صحيح في نفسه، فهو حكمة، فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة، وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تسمى حكمة بعد كتاب الله، وقد سماها الله حكمة في كتابه العظيم، كما في قوله جل وعلا: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} ، يعني: السنة، وكما في قوله سبحانه: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} فالأدلة الواضحة تسمى: حكمة، والكلام الواضح[27]

المطلب الثاني: الصفات التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسيروا عليها:-

أما أخلاق الدعاة وصفاتهم التي ينبغي أن يكونوا عليها، فقد أوضحها الله جل وعلا في آيات كثيرة، في أماكن متعددة من كتابه الكريم منها:-

أولاً: الإخلاص: فيجب على الداعية أن يكون مخلصا لله عز وجل، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه عز وجل، كما قال سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} ، وقال عز وجل: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} قال السعدي: " لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله.{وَهُوَ} مع هذا الإخلاص والاستسلام {مُحْسِنٌ} أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقا لخواص خلقه وأتباعهم[28].

وجعل من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره، وأن يكون القلب خائفا طامعا لا غافلا ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة، وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان في كل عبادة بذل الجهد فيها، وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قال: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى[29].

فعلي الداعية أن يخلص لله عز وجل، في دعوته فهي من أهم الأخلاق، التي تكون في دعوتك وتريد بها وجه الله والدار الآخرة.

ثانياً: أن يكون الداعية على بينة في دعوته - أي: على علم – وأن يكون عالما بما يدعو إليه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} قال السعدي: " يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} للناس {هَذِهِ سَبِيلِي} أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه ومع هذا فأنا {عَلَى بَصِيرَةٍ} من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. {وَ} كذلك {مَنِ اتَّبَعَنِي} يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. {وَسُبْحَانَ اللَّهِ} عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين[30].

فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقوله على الله بغير علم، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصر فيما يدعو

---

[26] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 749)

[27] - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص: 26)

[28] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 206)

[29] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 292)

[30] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 406)

إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك، سواء كان ذلك فعلا أو تركا، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة.

ثالثاً: أن يكون حليما في دعوته، رفيقا فيها، متحملا صبورا كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإياك والعجلة، وإياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159] ، وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه: 43، 44] وفيها يقول السعدي رحمه الله: " {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا} أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، {لَعَلَّهُ} بسبب القول اللين {يَتَذَكَّرُ} ما ينفعه فيأتيه، {أَوْ يَخْشَى} ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ " هل " الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم ،ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر[31] وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ : ((اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[32]

فعليك يا أيها الداعية، أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليما صبورا، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام؛ حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع[33].

رابعا: ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي - بل يجب - أن يكون عليها الداعية: العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، قال الله جل وعلا: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ، وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} قال السعدي: " {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ} أي: بالإيمان والخير {وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ} أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال: {وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} وهذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،[34].وصح عن النبي ﷺ أنه قال: ((يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فقال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه))[35]، فمن أهم الأخلاق ومن أعظمها في حق الداعية: أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهى عنه، وأن يكون ذا خلق فاضل، وسيرة حميدة، وصبر ومصابرة، وإخلاص في دعوته، واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس، وفيما يبعدهم من الباطل، ومع ذلك يدعو لهم بالهداية، هذا من الأخلاق الفاضلة، أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو: هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى، ومع ذلك تدعو له بالهداية، قال النبي ﷺ لما قيل عن دوس إنهم عصوا، قال: ((اللهم اهد دوسا وأت بهم))[36] تدعو له بالهداية والتوفيق لقبول الحق، وتصبر وتصابر في ذلك، ولا تقنط ولا تيأس، ولا تقل إلا خيرا، لا تعنف ولا تقل كلاما سيئا ينفر من الحق، فقد دخل رجل أعرابي والنبي ﷺ ، جالس في أصحابه في المسجد فبال الأعرابي في طائفة من المسجد فزجره الناس ـ والزجر هو النهر بشدة ـ ولكن النبي ﷺ وهو الذي أعطاه الله تعالى من الحكمة نهاهم، فلما قضى بوله أمر ﷺ أن يراق على بوله ذنوباً من ماء ـــ يعني دلواً ـــ فزالت المفسدة فدعا الرسول صلى الله عليه وسلّم، الأعرابي

---

[31] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 506)

[32] - صحيح مسلم (3/ 1458)

[33] - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص: 46)

[34] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 51)

[35] - مسند أحمد ط الرسالة (36/ 117)

[36] - صحيح البخاري (4/ 45)

فقال له: ((إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر إنما هي للصلاة وقراءة القرآن)) فانشرح صدر الأعرابي لهذه المعاملة الحسنة[37].

خامسا: إيثار طاعة الرسول ﷺ على مودة القريب: فمن صفات الداعية الناجح: إيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب[38]؛ لقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63] قال السعدي : " هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعا، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقا، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم[39]،ولهذه الصفة الحميدة لم يرد أبو قتادة السلام على كعب؛ لنهي الرسول ﷺ عن كلامه، قال كعب رضي الله عنه: " تسورت جدار أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبّ الناس إليَّ فسلمت عليه فو الله ما رد عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؛ فسكتَ، فعدت له فنشدته فسكتَ، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار ". وهذا يبين مدى طاعة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ.

فعلى الداعية أن يحرص على طاعة الرسول ﷺ وقوله ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) [40]

سادسا: الصّبر: والصبر قوة نفسية إيجابية فعالة؛ تَدْفَعُ المُتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف، والاستكانة والاستسلام، وتَحْمِلُه على الصمود والثبات أمام الفتن والمُغريات، وأمامَ المحن والمكاره والأحداث، إلى أن يَأذنَ الله له بالنصر، أو أن يلقى الله -عز وجل- وهو عنه راضٍ.

فقد سَلَكَ المُشركون مع النبي ﷺ مسالكَ شتى في الأذى، وأساليبَ مُتنوعة في الاضطهاد؛ ليَصُدّوه عن دعوته؛ ويُثنوه عن أداء رسالته؛ فمَا استَكَانَ وما خضع؛ حتى بعد أن أذن الله له بالهجرة، حاربوه بحملات مُتعددة، وحروبٍ طاحنة؛ ليستأصلوا دعوته وأتباعه، فما كان ذلك يرده عن تبليغ الدعوة ونشرها في الأرض، وظل ﷺ صابرًا داعيًا مجاهدًا محتسبًا، ماضيًا في طريق إعزاز دين الله؛ حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا[41].

فإن الله -تبارك وتعالى- أمر المؤمنين بالتأسي بالنبي الأمين؛ فقال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب: 21). قال السعدي: "ومن أعظم الاقتداء بهم، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفية إلقاء العلم على حسب مراتب الخلق، والصبر على التعليم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء[42].

ألا فليتخذ الدُّعاة من مواقف صاحب الدعوة ﷺ قدوة وأسوة، إن أرادوا أن يبنوا لأمّتهم مجدًا، ولبلاد الإسلام عزًّا وللمسلمين وحدة وقوة ومكانة، فإن الله -تبارك وتعالى- أمر المؤمنين بالتأسي بالنبي الأمين ﷺ .

المطلب الثالث: التطبيقات المعاصرة لفقه الدعوة في ضوء تفسيره

أولا: في مجال الخطاب الدعوي

قال تعالى:﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل:125].يفسر السعدي الحكمة بأنها: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده[43]، وضع الأمور في مواضعها، واختيار الوسيلة المناسبة لكل مقام.

فعلى الداعية اليوم ينبغي أن يراعي اختلاف الفئات - الشباب، الأطفال، المثقفين، غير المسلمين...-، وأن يوظف لغة واضحة وأسلوبًا يناسب كل فئة، سواء في المنابر أو وسائل الإعلام أو المنصات الرقمية، دون إخلال بثوابت الشريعة.

وفي مجال الحوار مع المخالف قال تعالى:﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125].

ويرى السعدي: أن المقصود الوصول إلى الحق بأحسن طريق، مع حسن الخلق ولين العبارة.

فعلى الدعاة الإفادة من هذه القاعدة في إدارة الحوارات الفكرية والدينية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والبرامج الإعلامية، ومراكز الحوار، بعيدًا عن الغضب والإقصاء.

---

[37] - زاد الداعية إلى الله (ص: 19)

[38] - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (1/ 114)

[39] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 576)

[40] - صحيح البخاري (1/ 12)

[41] - الخطابة - جامعة المدينة (ص: 118)

[42] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 36)

[43] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 452)

ولأهمية الخطاب الدعوي يستفاد منه في إعداد الدعاة والمرشدين، قال تعالى:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:108] يقرر السعدي أن الدعوة لا تكون إلا على علم ويقين.
، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره[44]
ويستفاد من ذلك أن برامج إعداد الدعاة ينبغي أن تجمع بين التأصيل الشرعي، والمهارات الاتصالية، وفقه الواقع، ومعرفة احتياجات المجتمعات، حتى تتحقق البصيرة التي أكدها القرآن.
وفي ترتيب الأولويات الدعوية قال تعالى:﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يؤكد السعدي على تقديم أصول الإيمان والتوحيد قبل غيرها.
فمعرفة ترتيب الأولويات يفيد الداعية في بناء الخطط الدعوية بحيث تبدأ بتصحيح العقيدة وترسيخ القيم الكبرى، ثم الانتقال إلى بقية الأحكام، مع مراعاة احتياجات المجتمع.قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11] يوجه السعدي من الآية: إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة[45]
فالتغيير الحقيقي يبدأ من داخل الإنسان، وأن إصلاح الظاهر مرتبط بإصلاح الباطن، من عقائد وأخلاق وإرادات.، ويستفاد من ذلك في البرامج الدعوية والتربوية في معالجة الظواهر السلبية لدى الشباب لا تكون بمجرد الأوامر والنواهي، بل ببناء الإيمان وتعزيز الرقابة الذاتية وربط السلوك بالقيم الإيمانية، وأن إصلاح القلوب مقدم على إصلاح السلوك، وبناء الإيمان أساس التغيير الدعوي.

والداعية مطالب بتوظيف الوسائل المتاحة منها الدعوة عبر وسائل التواصل الاجتماعي. قال تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:60] يذكر السعدي: أن الآية تشمل كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة[46] وإعداد كل ما يحتاج إليه المسلمون من أسباب القوة بحسب الزمان والمكان.
فعلى استخدام الوسائل الحديثة في الدعوة من فقه تنزيل الأحكام على واقع الناس، ينبغي على الداعية أن يتمكن من إدخال التقنية والإعلام الحديث ضمن وسائل القوة والتأثير، من خلال إنتاج محتوى دعوي رصين، واستخدام الوسائل الحديثة للوصول إلى شرائح واسعة.

وفي مسار الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يتعرض الداعية إلى خطاب من الكراهية والعنف، فنجد ما يعين الداعية على مكافحة هذا الخطاب قال تعالى:﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:108] يقرر السعدي من الآية دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر[47].،وأن الشريعة تمنع كل ما يؤدي إلى مفسدة أكبر، ولو كان الفعل في أصله مشروعًا.
فيمكن الإفادة من هذا في ترسيخ أخلاقيات الخطاب الدعوي الرقمي، وتجنب السخرية والاستفزاز، بما يحقق مقصود الدعوة ويقلل من آثار الاستقطاب.
وعلى الداعية عند دعوته الناس التحقق من المعلومات قبل نشرها قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:6]. يؤكد السعدي أن الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه[48]
وهو أصل في وجوب التثبت من الأخبار قبل ترتيب الآثار عليها. ويدخل في ذلك التثبت من الأحاديث، والفتاوى، والأخبار المتداولة في الوسائط الرقمية، حتى لا يكون الداعية سببًا في نشر الشائعات أو المعلومات غير الصحيحة.

واقتداء برسولنا الكريم ﷺ على الداعية أن ينطلق في دعوته من البيئة الأسرية قال تعالى:﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:132].

---

[44] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 406)
[45] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 414)
[46] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 324)
[47] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 269)
[48] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 800)

فنجد أن الشيخ السعدي يؤكد أن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع[49].

فالداعية عندما يأمر أهله بالعبادة يحتاج إلى صبر ومداومة، لأن الإصلاح لا يتحقق بالأمر المجرد، وإنما بالمتابعة والرفق.، وهنا يتحقق دور الأسرة في التربية الدينية، وأن الوالدين ليسا ناقلين للمعلومة فقط، بل هما قدوة ومربّيان، وأن غرس القيم يحتاج إلى الصبر والتدرج.،وأن الدعوة داخل الأسرة تقوم على التعليم والقدوة والصبر، لا على مجرد التوجيه المجرد.

ومن الدعوة إلى الله تعالى معالجة الشبهات بالحجة والبيان قال تعالى:﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء:81].

يذكر السعدي من خلال هذه الآية أنه لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته[50].

فالحق إذا ظهر بالدليل فإن الباطل يضعف ويزول؛ لأن الباطل لا يقوم أمام البرهان.

ومن هنا تظهر أهمية هذه القاعدة في مواجهة الشبهات الفكرية المنتشرة، حيث ينبغي أن تقوم المعالجة على العلم والحوار والبيان، لا على الغضب أو الاكتفاء بالإنكار، فالقاعدة المستفادة: مواجهة الشبهات تكون بإظهار الحق بالدليل، لا بمجرد رفض المخالف.

وأن الداعية إلى الله تعالى مطالب بتعزيز الوحدة الاجتماعية قال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103] يقرر السعدي : أن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه[51].

فالاعتصام بحبل الله هو الاجتماع على الدين والحق، وترك أسباب الفرقة والنزاع. فيستفيد الداعية من ذلك في نشر خطاب يجمع الناس على الأصول المشتركة، ويبتعد عن تضخيم الخلافات الجزئية التي تؤدي إلى النزاع والفرقة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد دراسة موضوع فقه الدعوة في تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: دراسة تحليلية تطبيقية، ظهر أن تفسير السعدي لا يمثل مجرد شرح لمعاني الآيات، بل يحمل منهجًا دعويًا متكاملاً يستند إلى أصول القرآن الكريم ومقاصده، ويجمع بين التأصيل الشرعي والتوجيه التربوي والإصلاح العملي.

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، من أبرزها:

1. أن الدعوة إلى الله عند الشيخ السعدي تقوم على أصل العبودية لله تعالى، وأن مقصدها الأعظم هداية الخلق وإصلاحهم، لا تحقيق المصالح الشخصية أو الانتصار للآراء.
2. أن تفسير السعدي يبرز أهمية صفات الداعية، وفي مقدمتها الإخلاص والعلم والبصيرة والصبر والرحمة وحسن الخلق.
3. أن من أبرز القواعد الدعوية المستنبطة من تفسيره: مراعاة أحوال المدعوين، والحكمة في اختيار الأسلوب، والرفق في الخطاب، وإقامة الحجة قبل المؤاخذة.
4. أن وسائل الدعوة عند السعدي تتنوع بحسب المقام والحال، ومن أبرزها: الحوار بالحسنى، والقدوة العملية، والقصة القرآنية، والترغيب والترهيب، وضرب الأمثال.
5. أن المنهج الدعوي المستنبط من تفسير السعدي صالح للإفادة في معالجة قضايا الدعوة المعاصرة؛ لما يتضمنه من مرونة في الوسائل وثبات في الأصول.

التوصيات

1. العناية بالدراسات التطبيقية التي تستخرج الجوانب الدعوية من كتب التفسير المعتمدة.
2. الإفادة من منهج السعدي في إعداد برامج تأهيل الدعاة، خاصة فيما يتعلق بالحكمة وفهم أحوال المدعوين.
3. توجيه الباحثين إلى دراسة التطبيقات المعاصرة للقواعد الدعوية القرآنية في مجالات الإعلام والتربية والتعليم.

مقترحات بحثية:

---

[49] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 517)

[50] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 465)

[51] - تيسير الكريم الرحمن (ص: 142)

1. القيم التربوية في تفسير السعدي وأثرها في بناء الشخصية المسلمة.
2. منهج السعدي في معالجة الانحرافات الفكرية من خلال تفسيره.
3. مقاصد الدعوة في التفاسير المعاصرة: دراسة مقارنة بين عدد من المفسرين.